فيصل حسين صوفي

الظاهرة والأحتمال

توطئـــة

ظل ادب الشباب الواعد في اليمن الديمقراطـي ، يعاني ــ ولا يزال ، الكثير من مظاهر الافتقار والتشوش والازدواجية .. وهي مؤشرات جانبية وليست جوهرية أي انها لم تتكون او تتشكل بداخل اطار الظاهرة الادبي او السوسيولوجي وانما حملتها اليه مجموعة العوامـل والاعتبارات الموضوعية والذاتية الموضوعية الخارجية . ولمزيد من التنوير في المسألة ، اقول .. ان غياب النقـد المنهجـي والتوجيـه الادبي السليم للظاهرة ادى الـى تراكمات سالبة في جدارها وهزات عنيفة في ركائزها .. وكانت النتيجة .. بعض النماذج الادبية الاتباعيـة .. واختفاء اصوات واعدة .. وانزواء بعضها الى منطقـة الظل .. واوشكت الظاهرة على الانفلاش .. لولا بعض الاصوات الادبية اليافعة التي ما برحت تناضل عـلى الجبهة الثقافية التأسيس والتأصيل والتحول الثوري الديمقراطي الجديد .. وهي قلة يسيرة ولكنهـا مؤثرة وفاعلة .. تتفاعل فيما بينها وتتوالد وتتناسل وتتكاثر الا أن ذلك لاينبغي ان يعمينا عن المؤشرات العامة للظاهرة الادبية الشبابية ، فهي ــ كما اسلفت ــ تعاني افتقارا الى النقد الموضوعي الموجه لمسارها الطبيعي . فالنقد الادبي اليمني لم يستطع حتى الان انصاف الظاهرة او تحديد ملامحها او ابراز فضائلها أو تشخيص عيوبها ونقائصها.. وانما حاول ممارسة استاذية مقنعة من مستوى مخاطبـة البالغ للقاصر او الوالد للطفل .. فلم يساعد بذلك على نمو الشخصية او تكاملها .. او منحها جرعات طويلة من الامل والثقة بالحاضر او المستقبل .. وقد دفع هـذا « الغياب النقدي » الى دوران الظاهرة حول نفسها في تخبط عشوائي .. الا فيما ندر ..

انني حينما اضغط على المسألة من هذه الزاوية .. لا اقلل من اهمية سائر العوامل المساعدة الاخرى .. في انضاج الظاهرة وتحديد قسماتها وتأصيل ملامحها .. ولكني اردت بذلك الاشارة الى ان هذه العوامل المساعدة الاخرى لم تؤثر التأثير السالب نفسه علـى الظاهرة .. فالعكس .. اذ تهيأت الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية لنمو (ادب الشباب) وترعرعه .. ومن وسط تلك الظروف والمناخات الجديدة اكتسب شهادة ميلاده وبطاقة هويته .. غير ان الامر بعد ذلك اتخاذ سمة جديدة وشكلا آخر..وبقي على الظاهرة ان تجد من يتبناها ادبيا ويقوم اعوجاجها .. ويهديهـا الى سواء السبيـل .. فصادفت نقدا اما قاصرا او نرجسيا او غائبا او بابويا.. فارتدت على اعقابها ناكسة وباشرت مواصلة دورهـا في الساحة الاجتماعية بامكانات ذاتية متواضعة .. لذلـك اجدني ــ مقضيا علي ــ وانا على رأس القيادة الادبيـة لهذه الظاهرة وامارس الكتابة الادبية النقدية .. ــ ان افتح اشارة الضوء الاخضر .. لتناول هذه الظاهرة . بأسلوب قريب من المنهجية وتحليل يشبه الموضوعيـة بقصد تعريف الاخرين بالابعاد العامة لظاهرة ادب الشباب في بلادنـا ..

اولا : من هم الادباء الشباب ؟

ادباء الشباب .. هم الجيل الذي بدأ في ممارسـة وعيه الحضاري بواقعه ومجتمعه وذاته ابداعيا في فترة زمنية محددة بأواخر الستينات واوائل السبعينات ..

وقد نشأ هذا الجيل الادبي في احضان السابق من جيل الرواد .. الا انه لا يعتبر ــ في حالة تخط او تجاوز له ــ .. وانمـا في حالة التداد نوعي وكميَ .. للاتجاه الوطني والثوري الديمقراطي في داخل حركة جيل الرواد .. وهو الاتجاه الذي ساد ــ ولا يزال ــ حركتنا الادبية

والثقافية.. وقد تميز اعلامه بقيادة حركة التجديد الفنية في ادبنا اليمني .. والثورة في المضامين الفنية والاساليب والاطر الجمالية في الشعر والقصة والنقد والمسرح والقصة الطويلة والرواية .. وكان مؤشر الحركة الابداعية هو الصراع من اجل الاصالة والجدة والثورة والمعاصرة في الاساليب والاشكال والمضامين ضد الاتباعية والتقليدية والرؤى والاساليب والجماليات المستهلكة .. والتي لم تعد بقادرة على استيعاب حركة العصر والواقع الاجتماعي الجديد .. وقد سار الاتجاه الثوري للمجدد في ادب الرواد .. متفاعلا مع مؤشرات التطور السياسي والتاريخي للمجتمع ولحركة الجماهير الشعبية الكادحة .. ولم يتسن له الوقوف على قدميه او التعبير بملء فيه او لنقل لم يكتب له الانتصار الا من خلال انتصار ثورة ١٤ اكتوبر المجيدة وتصحيح مسارها التاريخي والطبقي في ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م ـ خطوة التصحيح المجيدة .. وبانتصار (الجديد) في الادب اليمني الرائد .

وبدأ في الشروع لتثبيت فلسفته وافكاره ورؤاه وجمالياته الاشتراكية العلمية .. ومن وسط هذه الحركة الادبية التقدمية .. نبع ادب الشباب كوليد شرعي لواقع التحولات الديمقراطية الجديدة .. ومجتمع الشغيلة والكادحين .. فكان امتدادا ثوريا وتواصلا فسيولوجيا مع الادب اليمني الرائد ويصب في مجراه الثوري الديمقراطي نفسه .

ومع فجر السبعينات بدأت النتاجات الادبية الشبابية في الظهور بقوة .. ومن خلال حركة النشر الثقافية الواسعة في مختلف الاجهزة الاعلامية من صحافة واذاعة وتلفزيون والمشاركة الدؤوب في الاماسي والندوات والملتقيات الادبية والنشرات والدوريات والملحقات الثقافية .. هيأ للطلاب الشباب حيزا مكانيا واسعا في داخل الحركة الادبية اليمنية .

ثانيا : **ملامح ادب الشباب :**

بالرغم من صعوبة تحديد ملامح ادبية واضحة للظاهرة الجديدة بسبب حداثة تجربتها وصغر ولادتها وضآلة امكاناتها الثقافية ـ الذاتية .. الا انه بالامكان الاشارة الى الخطوط الرئيسية العامة التي تشكل مؤشرات ادبية خاصة بالظاهرة .. وذلك اضعف الايمان ..

١) **المضامين الفنية :**

ارتبطت الموضوعات الادبية ـ المضمون الفني ـ في نتاجات الادباء الشباب بالاطار الواقعي الاجتماعي العام . وما تتم فيه من تحولات ديمقراطية ومتغيرات على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. كما اتجه ادبهم في مضامينه الفنية نحو الالتزام بالموقف الايدلوجي العلمي للطبقة العاملة ونظريتها الاشتراكية العلمية .. فنادوا بضرورة تبني الادب لقضايا العمال والفلاحين وسائر القوى الطبقية الكادحة واستشراف آفاق تطور المجتمع اليمني الجديد في رؤية فنية اشتراكية علمية .. وناصروا قضايا الشعوب المناضلة وحركات التحرر الوطني العربية والعالمية .. ومبادىء السلم والتقدم والحرية والديمقراطية والاشتراكية .. وناوأوا مختلف اشكال التعصب والابادين والعنصرية والفاشية والرجعية والصهيونية والامبريالية .. عموما .. تلك هي السمة الموضوعية البارزة التي تسم المضامين الفنية لادب الشباب .

ب) **الاشكال الفنية :**

وقد حاول بعض ادباء الشباب الوصول الى صيغ جمالية ترتبط جدليا بحداثة القضايا والمواضيع الواقعية والاجتماعية التي جدت في حياتهم ومجتمعهم وبالرغم من تعثر بعض تلك المحاولات المخلصة .. الا انها ظلت تشكل تجاوزا ابداعيا وثوريا خلاقا لكافة الانماط والاساليب الجمالية والفنية المطروقة والمستهلكة والتي لم تعد كفيلة بالقدرة على التعبير عن الواقع السياسي والتاريخي والحضاري الجديد الذي تعيشه شعوب المعمورة في الربع الاخير من القرن العشرين فبدا البحث الدؤوب والجاد عن اطر وقوالب واساليب تعبير فنية حديثة تلائم جدة المضامين الاجتماعية المطروحة .... غير ان ذلك لم يكن ليعني انقطاع هذه الظاهرة الادبية عن ماضيها الادبي او تراثها الثقافي او حضارة امتها العريقة .. بل زاد ارتباط ادباء الشباب بتراثهم الثقافي العظيم من خلال استفادتهم الجدلية ـ الخلاقة من الموروثات الشعبية والفولكلور والاساطير الشعبية وعبر التاريخ ودروسه وقد كان محور تلك الافادة هو استلهام الجوانب المشرقة والمضيئة في تراثنا وتاريخنا الوطني والقومي والكشف عن قيمة الثورية وطاقاته الابداعية المخبوءة .. ورصيده النضالي والكفاحي الملهمة.. وقد ساعد ذلك ادباء الشباب في صقل مواهبهم وتنشيط قدراتهم وانضاج تجاربهم الابداعية .

ثالثا : **ازمة ادب الشباب :**

لا بد لكل ظاهرة جديدة من نقائص وشوائب ونقاط ضعف معينة .. وذلك نتيجة لحداثة تكوينها وقصر تجربتها .. وضبابية رؤيتها العامة الا انه مهما يكن الامر لا يمكن ان تشكل تلك الظواهر السالبة مصدر خيفة او توجس او ذكر شديد الا متى ما تجوهلت كلية وتم التغلغل عن استقصاء مكامنها وتشخيص ملامحها لطرح الحلول الموضوعية الكفيلة بالقضاء عليها جذريا وبالنسبة لظاهرة ادب الشباب مثلها مثل سائر الظواهر الاجتماعية المحكومة بالقوانين الذاتية والموضوعية ـ فهي بدون شك تعاني مثل غيرها من النقائص الفنية التي احددها في هذين الخطين وهما :

أ) **ازمة شكلية :**

وهي ازمة تقنية محضة ، ناجمة عن عدم استقرار بعض ادبائنا الشبان على شكل او جمالية فنية محددة .. حتى تتحدد او تتضح ملامح تجاربهم الادبية وهويتها الفنية فيؤدي ذلك الى ارباكات مزعجة وتشوشات قلقة في ادواتهم الجمالية ورؤاهم الفنية تعكس نفسها سلبا على طبيعة التجربة الادبية لديهم .. فالجري ــ مثلا ــ وراء الاغراب في استخدام بعض التجارب الشكلية المغامرة يؤدي بهم الى الوقوع في ميكانيكية التجريبية الشكلية ــ الالية فيؤثر في اضعاف تجاربهم الفنية وبطء انضاجها او نموها التكاملي المطلوب .. هذا اذا اضفنا الى ذلك ايضا افتقار بعضهم الى اكتمال ادواته الفنية وقصور رؤيته الجمالية فبالنظر الى مجموع النقاط يمكننا الجزم بوجود ازمة تقنية شكلية لا تزال دائرة في وسط هذه الظاهرة الادبية الواعدة ..

ب) **ازمة المضمون :**

اما بالنسبة للمضامين الادبية في اعمال بعض ادباء الشباب .. وما يشوبها من تعثر او نقيصة او قصور .. فهي تنبثق ــ اساسا ــ من ضبابية الموقف الايدلوجي وضحالة الرؤية الفنية ــ غالبا ــ وترتبط هنا بأزمة الشكل لديهم فالسعي المرتجل وراء انماط فنية مغربة في الاداء الجمالي يؤدي الى تعتيم كامل وابهام تام يستعصي معهما الحديث حول وظيفة الادب الثوري وضرورة ايصاله الى الجماهير العريضة .. ويظل (الموقف الفكري) في مضامين ابداعاتهم الادبية بحاجة قصوى الى فلسفة ثورية علمية تقدمية واضحة النهج سليمة الرؤية .. والى خلفية فكرية وسياسية وايدلوجية محددة .. فمن خلال المزيد من التمرس والاطلاع على اساس الفكر الاشتراكي العلمي وتجارب الشعوب المناضلة ودروس وعبر التاريخ القديم والحديث وبالاحتكاك المتعاظم بتجربة شغيلة وكادحي بلادنا ودور التنظيم السياسي الموحد للجبهة القومية في زيادة دفة العملية الثورية الجارية وبالاستزادة من معين الثقافات الانسانية والاشتراكية الثورية فبذلك كله .. نضمن وضوح الموقف الفكري وبه نحصل على صفاء ونصوع وسلامة الرؤية الفنية في الاعمال الادبية .

رابعا : **آفاق ادب الشباب:**

لقد أشرت آنفا الى كون ادب الشباب هو ممثل شرعي جدير بالانتساب لمرحلة الثورة الديمقراطية .. به الاطار الجمالي للواقع الموضوعي الجديد ولديه فرص متاحة للنمو والتطور مع تصاعد المد الثوري لشغيلة وكادحي بلادنا ، ممن يسطرون بالعرق والدم كتاب المعجزة في اليمن الديمقراطية فاستقرار ملامح ادب الشباب الثورية ونضوج ادواته الجمالية والتعبيرية ووضوح رؤيته الفنية وسلامة موقفه الايدلوجي وهي بالمزيد من التطورات الثورية العميقة في صلب القاعدة المادية لمجتمعنا الجديد وبالتثقيف الذاتي الواسع والدراسات العلمية الاكاديمية العليا وبالاحتكاك والمنهجية والموضوعية من تجاربهم وتوجيهاتهم الادبية العامة .

خامسا : **جمعية الادباء الشباب :**

وانطلاقا من المسئولية الثورية والتاريخية العظيمة التي يوليها التنظيم السياسي الموحد للجبهة القومية وحكومة الثورة للاجيال الجديدة ولما يمكن للمسألة الايدلوجية والادبية ان تلعبه من دور ثوري فعال في حياة شعبنا الكادح ومجتمعنا الجديد .. تبنت الدائرة الاعلامية والايدلوجية في سكرتارية اللجنة المركزية لاتحاد الشباب اليمني الديمقراطي فكرة انشاء مجمع ادبي شبابي طوعي .. لضم الطاقات المبعثرة والجهود المهدورة وتنمية المواهب الابداعية الناشئة وتوجيهها .. وتسهيل او تذليل الصعاب امام تفتحها او نموها .. فتم في السادس من فبراير ١٩٧٦ م. وهو يوم الثقافة والادب في اسبوع الشباب اليمني المحتفل به سنويا في الاسبوع الاول من فبراير كل عام .. تم اعلان قيام جمعية ادباء الشباب التي احتفلنا في السادس من فبراير المنصرم بمؤتمرها العام الثاني وانتخاب هيئات قيادية جديدة لتسيير نشاطاتها وتنفيذ برامجها وخططها ومشاريعها الثقافية وتركز دور الجمعية الادبية للادباء الشباب في احتضان المواهب الادبية الشابة ورعايتها وصقل قدراتها وتوجيه خطاها والدفع بها الى مواقع اكثر صلابة وثباتا وقدرة .

ولعل في قيام هذا الاطار الاجتماعي الشبابي لهذه الغاية ما يبشر بنتائج مستقبلية فضلى للحركة الادبية اليمنية بعامة ولادب الشباب بخاصة .

فيصل حسن صوفي
رئيس جمعية الادباء الشباب
جمهورية اليمن الديمقراطية